

ما هو أثر الحياة الجديدة والعصر الجديد في أغراض الشعر ؟ و في جواب هذا السؤال تقول : لقد عرف الشعر العربي في عصوره الأولى أغراضا محدودة هي الفخر والهجاء والمدح والرتاء والوصف والغزل ثم النقائص التي هي مزيج من الغرضين الأولين ، وكان لهذه الأغراض طريقة تقليدية تؤدي بها ، أقل ما يقال فيها : إنها تعتمد على الصراحة والبساطة والجد ، جد البادية الذي لا يعرف الهزل ولا يجيده إذا تورط فيه . لكن الظروف الجديدة قد غيرت من آفاق الشعراء وتفكيرهم ، وفتحت عيونهم على حياة جديدة كل الجدة ، وفيها كل ما يمكن أن يتصوره المرء من مجتمع واسع الأرجاء متعدد الطبقات مختلف النزعات والأهواء تلتقي فيه الفلسفة الإغريقية بحكمة الهنود وحضارة الفرس وزندقتهم بتقشف الإسلام وورعه . وقد أدى كل ذلك إلى تحول الأغراض القديمة عن طابعها الموروث تحولا يقوى حيناً و يضعف حيناً آخر ، عليها . ومن الفنون القديمة التي تطورت الوصف . فقد وجد هذا الغرض منذ العصر الجاهلي وكان وصف مظاهر الطبيعة البدوية والحضرية في ثنايا القصائد ولكنه تطور في العصر العباسي فأصبح غرضاً قائماً بذاته وافتتحت به القصائد واتسعت ليصور جوانب الحياة ومظاهر الحضارة الطبيعية والصناعية من القصور الجميلة والبساتين الخضراء والبرك الأنيقة والنافورات والآثار والسفن والمعارك . كذلك تطور غرض الفخر والحماسة في هذا العصر ففيه افتخر الشعراء بالأمجاد العربية والانتصارات الرائعة والفتوحات الضخمة ، كما افتخر بعض الشعراء من أبناء الأمم التي اندمجت في الإسلام في العصر العباسي بأمجاد أممهم . وكان للنهضة العلمية والترجمة في هذا العصر أثرها الواضح في اتجاهات معاني الشعراء وأفكارهم إلى العمق والتحليل والغزارة والاستقصاء ، ثم الترتيب المنطقي الأفكار القصيدة ومعانيها بطريقة لم تكن معروفة قبل ذلك . كما ابتكرت معان من وحي الحياة الحضارية التي عاشها الشعراء في العصر العباسي وقد اتسم خيال الشعراء بالخصب والروعة وجمال التشبيهات والاستعارات ، كما أخذ بعضهم عن الفرس مبالغتهم في الخيال وابتكار الصور المؤثرة في النفس . أما من حيث الألفاظ فقد هجر الشعراء الألفاظ الغريبة الصعبة واستخدموا السهلة العذبة والتراكيب الأنيقة ، وجدد بعض الشعراء في بناء القصيدة فلم يسر على النهج التقليدي فهذا ، أبو نواس نادي بعدم افتتاح القصيدة بالغزل أو الوقوف على الأطلال ، وإنما بوصف الخمر . وافتتح غيره قصائدهم بالحكمة أو بالوصف أو بالغرض الأساسي للقصيدة مما حقق الوحدة الموضوعية